ثلاثية د. الفقي جبرتي مصر

بقلم: د. حسين عبد البصير

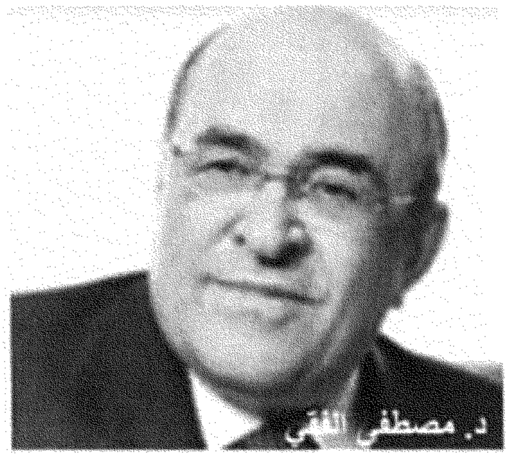
د. مصطفى الفقي

يغوص المفكر السياسي الأبرز والمثقف الموسوعي الأشمل الدكتور مصطفى الفقي مدير مكتبة الإسكندرية في ثلاثيته الجديدة «عرفتهم عن قرب» و«ذكرياتي معهم» و«شخصيات على الطريق» الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية، في تاريخنا المعاصر، خصوصًا في تاريخ مصر، متحدثًا ومنقبًا عن العديد من الشخصيات البارزة أحياءً وأمواتًا.

وساهمت إقامة الدكتور الفقي في الخارج في شمول رؤيته. والتقى الدكتور بهذه الشخصيات صانعًا لنا بانوراما ملحمية ولوحة فسيفسائية توضح العصر الذي عاش فيه والشخصيات التي خبرها بحنكته السياسية المعهودة ورؤيته الإنسانية الثاقبة وفكره الشامل اللافت. ويتحدث عن حوالي ثلاثمائة شخصية تمثل بحق موسوعة حديثة ونافذة للأعلام المعاصرين. وعرضها بحيوية شديدة في صفحات تقرب من الألف صفحة.

ومن خلال خبرته الطويلة في دهاليز السياسة وأروقة الدبلوماسية ودورب الثقافة والأدب والفن والفكر والإبداع والتذوق والتأمل، يُقطر لنا سير هؤلاء وسيرته معهم. وهذه شهادته على العصر بكل ما له وما لديه، برؤية أمينة منصفة تذكر الحقيقة بذكاء السياسي وروعة الدبلوماسي ولباقة الأديب وبراعة الكاتب من استهلال وانتقال في تاريخ الشخصية، من نقطة لأخرى ومن موقف لآخر، بقدرة فذة لا تتأتى لكثير من أساطين السياسة والدبلوماسية وأرباب القلم.

والدكتور الفقي أديب بارع، ومثقف كبير، وكاتب لا يشق له غبار، ويمتاز بالذكاء الحاد، والذاكرة الحديدية، واللماحية، وهو شخصية فذة، ويتمتع بروح دعابة لا يجاريه فيها أحد.

ومن خلال هذه الشخصيات التي عرفها الدكتور الفقي، ومن خلال ذكرياته، نتعرف إلى العديد من الشخصيات على كل المستويات بتنوع وتعددية مدهشة من رجال دولة ودين وسيدات وأساتذة جامعات ومبدعين ومثقفين وعلماء وأدباء وصحفيين، من مصر وخارجها، في بلاط الحكم ودهاليز السياسة وأروقة الدبلوماسية، مثل ماتنديلا والملك حسين وصدام حسين وعرفات وأم كلثوم ويوسف إدريس والشعراوي وأشرف مروان وعبدالصبور وفالدهايم وشعيشع والمحجوب وأوغلو ومحمود فوزي والريدي وأبوالنجا وأبوباشا والطبلاوي والمنوفي وقنصوة ومفيد فوزي وغيرهم.

ومن خلال هذه الثلاثية المهمة، يتضح لنا بجلاء أن كتابات الدكتور الفقي مهمومة بمصر؛ لأن مصر هي البداية وهي النهاية، وهي المحور وهي الملاذ. ويقدم تاريخًا بمنهجية جديدة في عالمنا العربي تروي التفاصيل الإنسانية وراء السلطة بشكل محايد تمامًا؛ فنرى الحكام بشكل إنساني، كقدوة للشباب، وكنماذج إيجابية، من خلال تقديم النواحي الإنسانية في شخصية الحاكم.

وقدم الدكتور الفقي شخصيات موسوعته بحيادية تامة؛ فهناك من اختلف معهم وقدمهم بشكل موضوعي مظهرًا نقاط قوتهم، وهناك من أحبهم وقدمهم موضحًا نقاط ضعفهم، بيد أنه في المجمل الأعم يمتاز أسلوبه بالبحث عن الجوانب المضيئة في الشخصيات التي عرفها عن قرب، وبصدق بالنقد الراقي والذكاء في توضيح مثالب الشخصية دون تجريح كعادة شخصيته المتواضعة والمحبة للناس جميعًا، والمحبوبة من الجميع؛ فهناك إجماع على موسوعية ولباقة وجاذبية ونزاهة وتشويق الدكتور الفقي كاتبًا ومتحدثًا، ولا يشعر المرء أبدًا بالملل من كتاباته وأحاديثه الممتعة؛ فهو حلو المعشر، شديد الذكاء، سريع البديهية، لبق، لماح، ويمتع بروح الدعابة والمجاملة، وذو تعبيرات رائعة آسرة للجميع.

والدكتور الفقي شخصية فريدة. ونظرًا لعشقي لقراءة سير الآخرين، والتعلم منها، ولتخصصي في السير الذاتية في مصر الفرعونية؛ فإنني أوجه التحية للدكتور الفقي على ثلاثيته الرائعة التي تعتبر حدثًا كبيرًا يجب الاحتفاء به. ونحن في انتظار كتابة الدكتور مصطفى الفقي لسيرته الذاتية.